مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الاخبار تترى والأحداث تتوالى، وتطرق أسماعنا أنباء الفظائع والأهوال المتفاقمة والمستمرّة منذ نيسان ١٩٩٢م في جمهورية البوسنة والهرسك - ذات الاكثرية المسلمة - والتي كانت إحدى الجمهوريات الست المشكلة لما كان يسمى «يوغسلافيا» حيث أشعل الصربيون نار الحقد الصليبي في الجمهوريات التي اختارت الحرية والاستقلال بعد زوال الشيوعية من الاتحاد السوفييتي - المؤسس لها - ولفحت رياح التغيير دول شرق أوروبا ومنها «يوغسلافيا»، ولما كانت جمهورية البوسنة والهرسك سعت للحرية، صبّ الصليبيون الصّرب جام غضبهم على سكانها المسلمين المسالمين، وكانت المأساة.

في بقعة دائمة الغليان، وفي الجزء الجنوبي الشرقي لقارة أوروبا - في بركان أوروبا شبه جزيرة البلقان - يعيش إخوة لنا قاسوا الكثير من الظلم والاضطهاد وبخاصة أيام الحكم الشيوعي الذي نشر الإباحية والإلحاد وحاول طمس الهوية الاسلامية وتغريب المسلم عن دينه، إلا من عَصَمَ ربي!

هذا مالاحظته وعرفته عندما كنت في زيارة للبوسنة والهرسك وبخاصة العاصمة «سراجيفو» في الثمانينات حيث كانت الشيوعية تطبق بقبضتها

المتسلطة على كل يوغسلافيا السابقة، ومع ذلك كنت أرى المسلمين يتوافدون لأداء الصلوات المفروضة في المساجد الكثيرة، وهذا ما يؤكد بأن النظام الشيوعي لم يستطع أن يقتلع الإيمان من جذوره، ولأنه كان بين المسلمين أدباء وكتّاب نذروا أنفسهم لبثّ التعاليم الاسلامية السمحة وشرحها للجيل الذي تأثر كثيراً بالتعاليم الملحدة، من هؤلاء الكتّاب الرئيس البوسني «علي عزت بيغوفيتش» الذي سُجن مع غيره من الاسلاميين بسبب آرائهم وكتبهم الاسلامية.

غادرت البوسنة والهرسك وحبّ الاستطلاع أثار لديّ غريزة المعرفة عن كل ما كُتب عن المسلمين في يوغسلافيا السابقة، ولما قيّض الله لي فرصة للدراسات العليا، اخترت موضوعي لرسالة الماجستير بعنوان: «المسلمون في يوغسلافيا» فرحّبت إدارة كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الاسلامية في بيروت بهذا الموضوع وشجعتني كثيراً على إتمامه.

شمّرت عن ساعد الجدّ، وبدأت البحث والتقصي عن المصادر والمراجع التي تغني الموضوع.

بذلت ماستطعت في الغور ببطون الكتب والمجلات والدوريات والصحف العربية والأجنبية، وكان ماحصلت عليه نثرات من هنا وهناك، وفقرات مبعثرة مختصرة في مقالات لارابط بينها، كما كان بعضها يتكلم من زاوية عقائدية بشكل مجمل، ولا يبحث بجدية في الفسيفساء التي يتشكل منها الشعب اليوغسلافي، وحرص بعض الكتّاب أن يبتعد عن الخوض في غمار مشاكل - بلد صديق! - حتى لاتفسد تلك الصداقة!!.

اللهم إلا ماكتبه د.محمد موفاكو (الأرناؤوط) في عدد من المجلات وبخاصة كتابه «تاريخ بلغراد الاسلامية» - الذي أفادني كثيرا - وكذلك ماكتبه د.جمال الدين سيد محمد، عن الأدب اليوغسلافي المعاصر. ومع ذلك صممت على السفر الى البوسنة والهرسك لأجعل موضوعي أكثر واقعية في البحث الميداني، ولكن حدث مالم يكن بالحسبان وجرت الرياح بمالاتشتهي سفني.

بدأت الأزمة، وتطورت الأمور من سيء إلى أسوأ وامتدت ألسنة حرب قذرة تطال المسلمين ومعالمهم ورموزهم، فعدلت عن (المشوار)، غير أني عزمت على مضاعفة الجهد في البحث عن فائدة تتعلّق بموضوعي، ألتقطها، أو خبر فيه إيضاح لمبهم أقتنصه، أو معلومة توثّق ماحصلت عليه أسجّلها، وذلك للوصول إلى مايقرّبنا من حقائق الموضوع، لكشف كل مايهم الشعب المسلم، وإيراد كل ماعاناه على مرّ العصور والدهور بمختلف الأدوار التي كان بيد زعمائها الحلّ والربط، من الإمارة الصربية الى المملكة اليوغسلافية، وصولاً الى جمهورية تيتو الاتحادية وماعاناه - ويعانيه - هذا الشعب من الأخوة الأعداء «الصرب والكروات» سابقاً وحاضراً.

جرائم تقشعر لها الأبدان، وأفعال: لاعين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خَطَرَ على قلب بشر!.

يريدون اقتلاع شعب من أرضه، وتغريبه عن وطنه، وليس له ذنب. سوى أنه: يشهد بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قال تعالى:

«**وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إلاّ أَنْ يؤمنوا بالله العزيزِ الحميد**[1]».

وقال أيضاً:

«**قل يا أَهْلَ الكِتابِ هَلْ تَنْقِمونَ مِنّا إلاّ أنْ آمَنّا بالله وَما أُنْزِلَ إلَيْنا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وأَنَّ أكْثَرَكُمْ فاسِقون**[2]». - صدق الله العظيم -.

يكفي الصّرب هذا، ليثير كوامن حقدهم الدفين، لهزيمتهم في معركة «كوسوفا» قبل أكثر من خمسة قرون على يد الفاتحين العثمانيين.

صحيح أن حكّام الغرب استنكروا العدوان الصّربي على البوسنة والهرسك،

---

(١) سورة البروج، آية(٨).
(٢) سورة المائدة، آية (٥٩)

وأشبعوا الراي العام العالمي بيانات وإدانات عديدة، ولكن دون عمل حاسم. أو فعل صادق يجعل المعتدي، يوقف عدوانه، أو يخفف من غلواء جرائمه، لأنّ «قتل امرىءٍ في غابة، جريمة لاتُغتفر، وقتل شعب آمنٍ، مسألة فيها نظر.»!

الإدانات استمرت. وكذلك الاعتداءات، الاحتجاجات تواصلت، وكذلك المجازر، جرائم الصرب طالت كل مايمت إلى المسلمين والاسلام بصلة، ومازالوا في طغيانهم يعمهون.

انهيت رسالتي وشجعني - بعضهم - على أن أجعلها كتاباً، وبخاصة أني حاولت أن ألمّ بكل جوانب القضية اليوغسلافية منذ أن وفدت إلى البلقان القبائل المتعددة من شرق أوروبا في العصور الأولى إلى اليوم، بعد أن كثرت الكتابة عن يوغسلافيا ومأساة المسلمين في البوسنة والهرسك. فكان كتابي المتواضع - هذا - في ستة فصول.

- ☐ - الفصل الأول: تعريف بالأمة التي كانت عاملاً مؤثراً وفاعلاً في أحداث البلقان ألا وهي: أمة الترك، التي أنعم الله عليها بنعمة الإسلام، فأنتقلت من حياة بدوية وثنية، إلى الإمارة فالدّولة العثمانية العليّة.
- ☐ - والفصل الثاني يتكلم عن الإخوة الأعداء «الصرب والكروات» وافتعالهم المشاكل الجمّة مع جيرانهم المسلمين ومع الدولة العثمانية، والحروب بينهما،ثم القضية القومية والأقليات في يوغسلافيا السابقة حتى فترة الحرب العالمية الأولى.
- ☐ - أما الفصل الثالث فيبحث في تاريخ ماسمي «يوغسلافيا» من عصور ماقبل الميلاد والقبائل التي سكنتها، ثم وصول الإسلام إليها فالفتح العثماني وتشكيل يوغسلافيا، والمظاهر الجديدة للمسلمين بعد زوال الشيوعية.

- ـ الفصل الرابع هو بيت القصيد حيث يتكلم عن كل شيء في البوسنة والهرسك، تاريخياً وجغرافياً، اجتماعياً، إدارياً، سياسياً وثقافياً، منذ وصول البشناق إليها الوافدين من حوض الفولغا في روسيا وحتى اليوم. وانتشار الإسلام فيها واتساعه على يد محمد الفاتح. ثم التأثيرات الإسلامية فيها وفي الجمهوريات الأخرى.

- ـ الفصل الخامس خاص بأهم المدن الاسلامية في البوسنة والهرسك والجمهوريات الأخرى، من بلغراد الإسلامية إلى أصغر مدينة في جمهورية الجبل الأسود على الأدرياتيكي مروراً بزهرة مدن البوسنة وعاصمتها «سراجيفو».

- ـ أما الفصل السادس والأخير فهو يحكي المأساة منذ نشوء الأزمة اليوغسلافية بتفكك الاتحاد، ويرصد الأحداث المفجعة والكوارث المتلاحقة على مسلمي البوسنة والهرسك، ثم مشاريع التقسيم المقترحة لإنهاء الأزمة، مع ملاحق توضح شيئاً مما ذكر كالخرائط والصور وغيرها..

حاولت في هذه الأيام التي أعاصيرها مازالت تلفح مسلمي البوسنة والهرسك أن أقدم تعريفاً عن كل مايتعلق بهم، وأعتبر ما أنجزته متواضعاً، وهو ليس أكثر من نقطة في بحر المعرفة التي تتعلق بالأقليات الإسلامية في العالم، ولكني لم آل جهداً لإبراز الحقيقة وإيضاحها، وآمل أن أكون قد بلغت مايدل على الهدف الساعي إليه ـ ولو بقدر بسيط ـ وجلّ من له العصمة عن الزّلل والخطأ والنسيان، فعذراً لما أكون قد وقعت فيه من أخطاء وعثرات في سرد الأحداث أو إجلائها، ولكن، مايذهب الحزَنَ عني، إن أخطأت أو قصّرت هو ماجعلته نصب عيني في إيضاح شيء كان مبهماً، وكشف حدثٍ كان خافياً، ثم تشجيع التقصّي والبحث للتعريف بأحوال المسلمين في كل صقع ومصر، ومهما بذلت وجهِدت لايمكن أن أحيد عن هديِ قوله تعالى: «وفوقَ كُلِ ذِي عِلمٍ عَليم.».

وبعد لا يسعني إلا أن أشكر إدارة كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية على تشجيعي في تحقيق هذا الموضوع، وأن أقدم الشكر الجزيل لأساتذتها وموظفيها الذين ساهموا بتذليل كل صعب. والشكر أيضاً لإدارة الشركة المتحدة التي أخذت على عاتقها طبع ونشر الكتاب وإخراجه الرائع، ولكل من أهتم وساعد في إنجاز هذا العمل مزيداً من الامتنان. ختاماً، أسأل المعين القادر أن يهيء لإخواننا في البوسنة والهرسك والمسلمين - أينما كانوا - من يمدّ لهم يد المساعدة لانتشالهم من ورطتهم، إنه سميع مجيب والحمد لله من قبل ومن بعد.

محمد محمد قاروط

دمشق - ذو القعـــدة ١٤١٤هـ

نيسان/ابريل ١٩٩٤ م

obeikandl.com